العلم و العلماء في الجزائر خلال العهد العثماني

أ.ة.دهبية بوشيبة
جامعة سعيدة

ترى معظم الدراسات الأجنبية أن إيالة الجزائر خلال العهد العثماني كانت تفتقر إلى مظاهر التحضر والتمدن والتي نفهم من خلال سياقها عدم الاهتمام بالعلوم والفنون، كون المجتمع الجزائري خلال تلك الحقبة كان مجتمعا عسكريا في فكره وأعماله، لذلك كان لابد من دراسة هذا الحكم بالوقوف على مسار العلوم والفنون عصرئذ. إنّ الاهتمام بمختلف العلوم والفنون ما هو إلاّ وجه آخر من وجوه الثقافة ووسيلة من وسائل الإنتاج الفكري الذي عرفته الجزائر خلال العهد العثماني[1] وشملت هذه العلوم ميادين متعددة أهمها:

العلوم اللسانية أو علوم اللغة:

كان التأليف في علم اللغة المحض محدودا وحكرا على القليل من العلماء أمثال محمد بدوي الجزائري، الذي لخص كتاب "الإعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد" لأبي حيان بن يوسف الأندلسي ووضع له عنوان سماه "الإرتضاء في الفرق بين الضاد والظاء" سنة 1127هـ. كما ألف أبوراس الناصر كتاب سمّاه "ضياء القابوس في كتاب القاموس"، و"رفع الأثمان في لغة الولائم والثمان".غير أنّ التأليف والاعتناء في النحو قد أخذ نصيبا خاصا وإنتاجا طيبا في هذا العهد، حيث ألف قاسم بن عبد الله المرادي المالكي كتاب سمّاه "شرح في النحو"[2] ، وهو يختص بقواعد الإعراب والتفصيل فيه ويبدو أنّ صاحبه كان متأثرا الى حد كبير بسبويه، وبطريقة المشارقة في النحو خاصة الكوفيون منهم، هذا الشرح سيضع عليه سعيد قدورة حاشية على شرح خلاصة المرادي وقد سمّاها "رقم الريادي على تصنيف المرادي". كما ألّف أبوراس الناصر عدّة تأليف في النحو منها "الدرة اليتيمة التي لا يبلغ لها قيمة"، ووضع يحي الشاوي عدّة شروح وحواشي في هذا المضمار منها حاشية كبيرة على شرح المرادي" "شرح على التسهيل لإبن مالك".... ما ظهرت مدرسة هامة في علم النحو بالزواوة نظرا للدراسات النحوية التي تقدم بها كلّ من يحي بن معطي الزواوي، وأبو جميل القائد الزواوي القسنطيني، الأمر الذي شدّ إنتباه الورتيلاني ذكره في رحلته قائلا "إنّ النحو كان يعتنى به هناك الكبير والصغير واشتهر به إشتهارا بيّنا"[3].

لقد أسهم الجزائريون في العهد العثماني في ميدان البيان والمعاني، حيث قام عبد الله بن أبي القاسم الثعالبي بشرح قصيدة الحلي شرحا بلاغيا سمّاه "أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي" وقام محمد بن محمد بن علي الجزائري بشرح الجوهر المكنون

سمّاه "موضع السر المكنون على الجوهر المكنون" ونظم أبوراس الناصر "نيل الاماني على مختصر سعد الدين التفتراتي" واشتهر علي بن عبد القادر المعروف بإبن الأمين بتأليفين الأول: "رسالة في أما بعد" في حدود 1186هـ والثاني "حاشية على مختصر السعد". أمّأ العروض فرغم وجود الأشعار إلاّ أنّ التأليف في قواعد العروض قليلة جدا نذكر منها شرح سعيد قدورة على "الرامزة الشافية في علم العروض والقافية" لأبي الجيش المغربي المعروف بالخزرجي سمّاه "شرح المنظومة الخزرجية"، وينسب إلى بركات بن باديس "شرح على متن الخزرجية". يشمل النثر الأدبي المقامات والرسائل الرسمية والإخوانية والوصف والتقاريظ والتعازي وعقود الزواج والإجازات، والشروح الأدبية والقصص والخطب التي تتميز بها الأدب الجزائري خلال العهد العثماني رغم وجود الكثير من الصعوبات التي كانت تعيق نموه منها:

- سيادة اللغة العربية في الأوساط الرسمية ومزاحمة اللغات الأوروبية الأخرى وبعض اللهجات المحلية التي كانت تعيق حركية اللغة العربية.
- عدم تذوق الحكام للأدب نظرا لإختلاف ثقافاتهم ولغاتهم ممّا أدّى إلى عدم تشجيع الأدباء والشعراء.
- إقتصار نشاط الفئة المثقفة على الوظائف الرسمية التي لا علاقة لها بالأدب ممّا أدّى ذوبان المواهب في رتابة الإدارة.
- هجرة العلماء والأدباء نحو المشرق والمغرب العربيين نتيجة لعدّة ظروف سياسية وإجتماعية.
- شيوع اللحن على ألسنة الكتاب والمدرسين فظهر لونان شعريان دخيلان على الشعر هما الشعر الملحون والشعر الفصيح المكسور اللذان كانا بمثابة ثورة على الأوضاع السياسية والأخلاقية المتردية.

اما الإجازة تتناول السند وسرد أسماء الشيوخ ومواد الدراسة، لكن صيغة بعض الإجازات رغم موضوعاتها وثبوتها على شكل واحد كانت أقرب إلى الأسلوب الأدبي كما أضفى عليها الأدباء طابعهم وذوقهم الفني، ولدينا نموذج من إجازة أحمد بن عمار إلى محمد بن خليل المرادي الشامي ما جاء فيها "فقد روينا بتوقيف الله ويمنه....عدة وافرة ...من كتب العلوم الشرعية والفنون المرعية من منقول ومعقول... وقد أجرت السيد..." وهي إجازة قصيرة غير أنّها قوية العبارة وجيدة النسج مسجعة في أغلبها تؤكد الطابع الأدبي الغالب على أسلوب ابن عمار، وهناك نماذج أخرى من الإجازات وجدت خلال هذا العهد.

و الشروح الأدبية :

نقصد بها شرح الأعمال الصوفية والتاريخية والفقهية بوجه عام وشرح الأعمال الأدبية بوجه خاص، والشرح الأدبي يكون على قصيدة نظمها الشارح نفسه، وقد يكون على قصيدة أو عمل آخر لغيره وقد حفل الإنتاج الأدبي الجزائري بالنوعين من ذلك شرح أحمد بن سحنون الراشدي على قصيدة العقيقة[4] لسعيد المنداسي سمّاه "الأزهار الشقيقة المتضوعة بعرف العقيقة"

والذي وضع ما بين 1200هـ-1202هـ، ووضع أبوراس الناصر أيضا شرحا عليها بعنوان "الدرة الأنيقة" وهو يقع في سبعة شروح كلّ شرح منه له عنوان مستقل، وشرح محمود بن الطاهر بن حمو كتاب الحكم والمواعظ والآداب والأمثال "لمسلم بن عبد القادر" سمّاه "نظم الجواهر في سلك أهل البصائر".

ووضع محمد بن أحمد بن قاسم البوني شرحا على اللامية لجلال بن خضر الحنفي أخرجه في "نبذ العجم على لامية العجم"، كانت الشروح الأدبية بمثابة المتنفس الذي يعرض فيه الأدباء محفوظاتهم وذوقهم الأدبي والنقدي ومدى إطلاعهم على تاريخ الأدب والحضارة بوجه عام. بالإضافة إلى الشروح الأدبية عرف النثر الأدبي لونا آخر تمثل في التقاريظ التي يمزج فيها بين النثر والشعر وتسيطر عليها الروح الإخوانية في الأسلوب. وتظهر فيها ثقافة المقرظ الأدبية واللغوية، والتي تعددت موضوعاتها فشملت الأدب والفقه والمنطق...إلخ ومن هذه التقاريظ نذكر تقريظ أحمد بن عمار على رسالة في التوحيد وضعه سنة 1195هـ لصديقه الوزير التونسي حمودة بن عبد العزيز. كما ظهر نوع جديد من التأليف الأدبيةتمثل في كتابة العقود والتفنن في إخراجها ولاسيما عقود الزواج التي أظهروا فيها براعتهم اللغوية والأسلوبية، حتّى أصبح العقد النموذجي يقلد في المناسبات المشابهة.

واحتلت الرسائل بالجزائر خلال العهد العثماني إهتماما طيبا، وشغلت حيّزا كبيرا بين الأدباء والموظفين، وهي نوعان الرسائل الرسمية الديوانية و الإخوانية من بين الرسائل الإخوانية تلك التي وجهها عبد القادر المشرفي إلى صديقه السيد الحبيب فيلالي والتي جاء في مطلعها كتبت ونار الشوق في القلم تضطرم ودمعي من طرف المعذب منسجم. أمّا الرسائل الديوانية أو الرسمية وهي غير الرسائل الإخوانية نظرا لسيطرة اللغة التركية على الإدارة الجزائرية وهذا ما جعل الرسائل العربية لا تظهر إلاّ في النادر وإذ تظهر لا يراعى فيها الإجادة بقدر ما يراعى فيها التوصيل والفائدة، وكانت أحيانا تأتي متكلفة ركيكة.

ويعتبر الوصف أحد ألوان النثر الأدبي ونعني به وصف الطبيعة أو وصف المنشآت العمرانية أو وصف الحيوانات والرحلات وهذا يدخل ضمن إطار الوصف الحسي، أمّا الوصف المعنوي يختص بالمشاعر الإنسانية. وأبرز من عالج هذا الموضوع أحمد بن عمار عندما وصف أحاسيسه الذاتية عند إعتزامه زيارة مكة وأداء فريضة الحج سنة 1166هـ، أمّا الوصف الحسي فالأمثلة كثيرة منها وصف ابن عمار لقصر الوزير عبد اللطيف بالعاصمة الذي قضى فيه ليلة مسامرة أدبية انتهت بوصف القصر جمع فيها بين الشعر والنثر. أمّا الخطابة[5] فهي من أبرز فنون النثر الأدبي لتعدد أغراضها ودقة أهدافها، فقد شملت الدين والسياسة والحرب وحالة المجتمع إلى غير ذلك. وبحلول عهد العثمانيين باتت الخطابة تقليدا أكثر منه إبداعا وفنا وحالت إلى

الرتابة بحيث ظهر التكلف[6] في أسلوبها وطابعها العام وبلغت ذروة تدهورها عندما أصبحت تقتصر على المناسبات الدينية، يكرّر فيها الخطيب معاني السابقين ولكن بأسلوب ضعيف وصياغة جامدة لتقوقعها في ميدان واحد وهو الجامع.

تعددت الخطب بين السياسية والعسكرية والدينية والإجتماعية، فالخطب السياسية قليلة جدا إذا لم نقل نادرة أمّا الخطب الدينية كثيرة كصلاة الجمعة وصلاة العيدين. من بين أهم هذه الخطب خطبة الجمعة لسعيد المقرّي التي عارض فيها خطبة القاضي عياض[7] التي ضمنها التورية بأسماء سور القرآن. أمّا خطبة العيدين فقد وقع بين أيدينا مخطوط لخطبة عيد الفطر لمؤلف مجهول وهي خطبة تتألف من ثلاثة عشر ورقة. وهذا ما تقدم فيها "بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى صحبه وسلم، الحمد لله الذي ميّز بين الصلوات الناطقين، وعلم ما في صدور الساكنين، هو خلقكم وزقكم، يميتكم ويحييكم[8]..." ثم أتبعها بحديث لإبن عباس عن النبي صلّى الله عليه وسلم بأمور تتعلق بالحساب والعقاب والجنة والنار من خلال ما وقفنا عليه في هذه الخطبة نجد كلماتها مسجعة، كما أنّها قريبة من العامية. بالإضافة إلى خطب أخرى لعبد الكريم الفكون و محمد بن ميمون الجزائري، وسعيد قدورة، لكّنها خطب غير مدونة رغم أنها اتسمت بطابع الإصلاح والإرشاد.

لم يشع في النثر الأدبي بالجزائر خلال العهد العثماني ما يسمى بالأدب القصصي إلاّ قليلا، وتذكر المصادر أنّ الأدب الشعبي كان غنيا بالحكايات والقصص التاريخية البطولية أو الملحمية، ولكنها في معظمها شفوية ولم يدون منها إلاّ القليل النادر، كما كانت تستوحي موضوعاتها من التاريخ الإسلامي والعربي وقصص ألف ليلة وليلة، وحتى من تاريخ الجزائر في العهد العثماني[9] ، لكن مالم نتوصل إليه هو لغة القصة أ فصيحة أم عامية، وأقرب صيغة التي تسجل القصص والحكايات هي المقامة. حيث أسهم الجزائريون في هذا الميدان، فنجد مثلا محمد بن محرز الوهراني صاحب المقامات أو المنامات، غير أنّ موضوعاته مشرقية لأنه عاش معظم حياته الفنية في المشرق، أمّا مقامات ابن حمادوش التي جمعها في رحلته فهي ثلاثة والظاهر أنه كتبها في المغرب الأقصى، فالأولى سمّاها المقامة الهركلية والتي ألفها في يوم الأحد من شهر صفر 1156هـ الموافق لأبريل 1743م بمدينة مكناس، والمقامة الثانية تتناول حياته عند خروجه من تيطوان إلى مكناس وصف فيها متاعبه وغايته من زيارة

المغرب الأقصى، أمّا المقامة الثالثة سمّاها المقامة الحالية[10] وهي رمزية وصف فيها حالته النفسية السيئة نظرا لأوضاعه المادية المحرجة وهجران زوجته له، بالإضافة إلى مقامات أخرى لمحمد بن سحنون الجزائري وغيره.

كما احتل الشعر المكانة الثانية[11] في الأدب العربي بعد العلوم الدينية خلال العهد العثماني، حيث كان اهتمام الكتاب بالشعر خاصة، وكان في تلك الفترة يعج بالألفاظ المنمقة وكثرة التشبيهات والتشخيصات، ولم يستطع أن يتحرّر من تقليد الشعراء عصر الإنحطاط، الذين كان همهم الوحيد اللفظ المصقول والتشبيه الرائق، وبإختصار الإهتمام بالشكل دون المضمون[12]. ورغم هذا كلّه فإنّ الشعر كان مزدهرا وقد تعددت أغراضه فمنه الشعر الديني الذي اختص بالمدائح الدينية ونظم الموشحات في مدح الرسول صلّى الله عليه وسلم والتشوق لزيارة مكة ومن أهم فحوله أحمد بن عمار الذي نظم قصيدة مديحية في موسم الحج من شهر ربيع الأول عام 1166هـ. ومن أهم قصائد المديح لنبوي "هائية المستغانمي" في وصف رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأخلاقه وأيامه وصحابته والإستعانة به. بالإضافة إلى الشمائل المحمدية للمنجلاتي، والشعر الصوفي لرجال الدين والمتصوفة، أمّا الشعر السياسي ارتبط في الجزائر خلال العهد العثماني بمناسبات محدودة نستطيع حصرها في الجهاد ضد الأجانب وشكّل شعر الجهاد المحور الرئيسي في الشعر السياسي، أبرزه سقوط الأندلس واحتلال وهران والمرسى الكبير. حيث نظم محمد بن علي قصيدة مؤلفة من سبعين بيتا سنة 1117هـ بحث فيها الباشا حسين خوجة الشريف لفتح وهران وطرد الإسبان.

أمّا النموذج الثاني للشعر السياسي هو مدح الحكام طمعا في الرزق وطلبا للقرب من أهم رواده "محمد بن ميمون الجزائري"، "أحمد القرومي"، "أبوراس الناصر"، والظاهر أنّ شعراء الجزائر لم يجدوا تشجيعا لأشعارهم من الحكام فالتفتوا إلى مدح غيرهم لكن النتيجة كانت مثل شبيهاتها لظروف معينة.[13] أمّا الشعر الإجتماعي، نعني به شعر الإخوانيات الذي يشاطر فيه العلماء بعضهم بعضا في مناسبات معينة، وقد شمل الرثاء والتقريظ والمدح لغير الأمراء، والمجون واللغز والهجاء، والعجيب أنّ شعر الرثاء كان قليلا جدا، كما كان شعر المجون نادرا ولا ضيم في ذلك لأنّ المجتمع على العموم مجتمع منقبض منغلق تقل فيه الطرائف والنكت، كما أنّ المرأة لم تظهر في الشعر الإجتماعي لا إنتاجا ولا موضوعا.[14]

يعتبر الشعر الشعبي تلك الصورة الصافية التي تعبر عن مشاعر الشعب وأحاسيس أي ذلك الأدب الذي يصدره الشعب فيعبر عن وجدانه ويمثل تفكيره ويعكس اتجاهاته ومستوياته الحضارية[15]، وهو عامي اللغة متوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية، كما أنّه لا يساوي أثرا فنيا إلاّ بعد ما يتفق مع ذوق الجماعة ويجري على عرفها من حيث المحتوى والشكل، ولا يتخذ شكله النهائي قبل أن يصل إلى الجمهور الذي يعطي نفسه حق التحوير والتغيير فيه مادام يتوارثه ويعده معبرا عنه، والف فيه أدباء ومؤرخون أمثال "الجامعي" وأبي راس الناصر "وابن سحنون" لأنه كان لغة العصر، حيث طغى الأدب الشعبي على الأدب الفني، ورغم ضعف مستواه إلاّ أنه ساعد على فهم ظروف العهد العثماني، كما سجل الكثير من الحوادث السياسية والعسكرية و كان سجلا للنبض الإجتماعي والإقتصادي في البلاد، بل يمكننا القول أنّه من الناحية التاريخية كان أشمل وأقرب إلى الحقيقة من الشعر الفني ومن أوضح الأمثلة على ذلك قصيدة شعبية في سيطرة اليهود على البلاد لبلقاسم الرحموني سنة 1802 جاء منها:

واش نظروا في ذي الدنيا عادت عميا — تشوف شيء غير متهمش
اليهود جان ليهم محبـــا — عادوا عليا بالباس وقصور تدهش
والمسلم في فم الحيـــا — يعطى الجازيا والكفر يقوي ويعرش[16].

من خلال ما سبق نستشف أنّ العلوم اللسانية في العهد العثماني لم تخرج عن إطار الشروح والتقاييد ولم ترق إلى المستوى المطلوب، نظرا لظروف ذلك العهد التي شددت الخناق على المجتمع والعلماء، وإن ظهر إبداع في هذا المجال فإنه سرعان ما يذوب في بوتقة الهجرة والنسيان.

- **العلـوم النقلية**
- **العلـوم الشرعية**

يقصد بالعلوم الشرعية الدراسات القرآنية كالتفسير والقراءات ورواية الحديث ودرايته بما في ذلك الإثبات والإجازات، وفقه العبادات والمعاملات كالنوازل والفتاوى، وقد كثرت هذه الدراسات بين العلماء الجزائريين خلال العهد العثماني وسنحاول في هذا الصدد أن نتعرض إلى بعض فروع العلوم الشرعية التي سيطرت على الواقع الثقافي خلال هذه الفترة. يقصد بالتفسير تفسير آيات القرآن الكريم، وتوضيح معانيها لإدراك أبعادها، واستنباط الأحكام الشرعية، ويمكن أن نتناول التفسير من ناحيتين: ناحية التدريس وناحية التأليف، أمّا تدريس التفسير فقد كان شائعا بين العلماء البارزين أمثال "محمد بن علي بهلول"، و "ابن لؤلؤ التلمساني"، و "أبوراس الناصر"، "سعيد قدورة" و"أحمد بن عمار" ، ربما يكون هؤلاء قد تناولوا

التفسير في مدارس التي أخذوا بها دروسهم، كالشيخ أبوراس الناصر، الذي اجتمع في مجلسه أكثر من أربعمائة طالب[17] ، غير أنّنا لم نعثر على وثيقة تدل على نوع الطريقة المتبعة أثناء درس التفسير، وذكر ابن حمادوش أنّ الشيخ أحمد الورزيري المغربي ، لما زار الجزائر سنة 1159 هـ، اجتمع إليه الطلبة لسماع درس التفسير فقال: "...وفي يوم الأربعاء رابع شوال، كلف الطلبة الشيخ الورزيري ليريهم كيف يبتدئ الناس التفسير، فاجتمعوا له ضحى في مسجد المدرسة الجامع الكبير، فأمر سيدي الحاج أحمد بن مسعود أن يملي عليه فأملى[18] ..". والواضح من سياق كلامه أنّ هذه الطريقة في التفسير كانت معتمدة في المدارس.

أمّا التفسير تأليفا فالخوض فيه قليل، فرغم شهرة مدرسة تلمسان العلمية فإنها لم تقدم مفسرين للقرآن الكريم، فحتى العلماء المعروفين أمثال أحمد الونشريسي وابنه "عبد الواحد الونشريسي" لا يعرف عنهما التأليف في التفسير، ونفس الشيء يقال عن مدرستي قسنطينة وبجاية، فنظرا لشهرة "عمر الوزان" و "عبد الكريم الفكرن" (الجد) خلال القرن العاشر ومن العلماء الذين ألفوا في التفسير خلال القرن الثاني عشر نجد "أحمد البوني" "الدر النظيم في فضل آيات من القرآن الكريم" ويبدو من العنوان أنّ "البوني" لم يتناول التفسير بالمعنى المتعارف عليه وإنما خصّ بعض الآيات من القرآن مستخرجا منها المعاني التي تناسب التصوف والآداب العامة.[19] ومن الذين ألفوا في التفسير "أبوراس" و "محمد الزجاي" ، فقد ذكر "أبوراس الناصر" أنه وضع تفسيرا للقرآن الكريم يقع في ثلاثة أسفار وجعل كلّ سفر يحتوي على عشرين حزبا سماه "مجمع البحرين ومطلع البدرين، بفتح الجليل للعبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير[20]". أما الزجاي فله تأليفين في التفسير "تفسير الخمسة الأولى"[21] وهو تعبير غير واضح فهل هو تفسير السور الخمس الأولى، أو تفسير الأجزاء الخمس الأولى وعلى كلّ حال فإنّ التعبير يدل على انّ هذا التفسير غير كامل وأنه تناول جزءا من القرآن الكريم، والثاني "حواشي كثيرة في التفسير" وهي تعاليق على التفاسير المتقدمة، والظاهر أنّ الزجاي كان يتبع في تفسيره طريقة الشروح المتداولة، فيعربون عبارة الأصل ويذكرون معناها أو معانيها ويستشهدون عليها، وقد يستطردون لإثراء الفكرة التي يسوقونها أو للتباهي على الحفظ وسعة الإطلاع. لقد اشتهر الجزائريون بتدريس القرآن أكثر مما اشتهر وبالتأليف فيها، وعرفت منطقة زواوة بالحذق في هذه المادة، لاسيما في القراءات السبع، ومن أشهر أساتذة القراءات بزواوة أواخر القرن الحادي عشر وأوائل الثاني عشر الشيخ محمد بن صولة.

وفي تراجم "ابن مريم" روى أنّ "محمد الحاج مناوي" قد تصدر للتدريس في عدة علوم ولكنه مهر خصوصا في القراءات[22] ، "كما أسهم عبد الكريم الفكون" في التأليف في القراءات بعمل سماه "سربال الودة في من جعل السبعين لرواية الاقرا (كذا) عدة"[23] ويبدو أن الفكون عالج فيه أنواع القراءات ورواتها وغير ذلك ما يتصل بهذا الموضوع ومما يتصل بأوجه القراءات، طريقة النطق بالتكبير والصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلم عند الختم، ومن بين من ألف في القراءات نجد "أحمد بن ثابت" صاحب "الرسالة الغراء في ترتيب أوجه القراء"، وألف "محمد شقرون بن أحمد المغراوي" عملا سماه "تقريب النافع في الطرق العشر لنافع" وقد قسمه إلى أبواب مثل باب الإستعاذة، باب البسملة، باب الميم الجمع، باب المد والقصر،...إلخ، ويبدو أنه استعان في شرحه على "مورد الضمان للخراز[24] ". يعد الحديث من العلوم الأولى التي اعتنى بها الجزائريون في العهد العثماني تدريسا وتأليفا ورواية وإجازة، ولعلّ هذا راجع إلى صلة علم الحديث بالدين وبالتصوف معا كما أنّ علم الحديث يعتمد إلى حد كبير على الحفظ، وقد اعتمدوا في أعمالهم على الكتب الستة يدرسونها ويسندونها ويحفظونها، غير أنّ عنايتهم بصحيح البخاري فاقت كلّ العناية فكتبوا عليه الشروح و الحواشي، وتدارسوه للبركة والحفظ، واستعملوه في المناسبات الدينية والحربية إلى درجة أنه بلغ عند بعضهم مبلغ القداسة.[25]

نجد من العلماء الذين برعوا في الحديث "عبد الكريم الفكون" و"ابن العنابي" و"علي بن الأمين" و"يحي الشاوي" و"أحمد المقري" وغيرهم كثير، ذلك أنّ الحديث لم يكن يدرس لذاته وإنما للعمل به في مجالات المعرفة المختلفة، حيث ترك "أحمد المقري" عدة تأليفات في علم الحديث والسنة النبوية "فتح المتعال في مدح النعال، "أزهار الكمامة في أخبار العمامة ونبذة من ملابس المخصوص بالإسراء والإمامة، و"الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين".[26] أما الحافظ أبو راس الناصر فقد ألف "الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات"، "مفاتيح الجنة وأسماءها، في الأحاديث التي اختلف العلماء في معناها"، "والسيف المنتضى فيما رويت بأسانيد الشيخ مرتضى". نلخص من خلال ما سبق أنه بالرغم من عناية الجزائريين بالحديث عموما، وبصحيح بخاري خصوصا، إلاّ أنّ التأليف فيه لا تقارن بهذه العناية، فهي لم تخرج عن بعض الأمور التقليدية مثل الشروح والحواشي والأراجيز والرسائل الصغيرة.

شاع في الجزائر خلال العهد العثماني حفظ الحديث وإسناده[27] وقراءته وإقراؤه، كما شاعت كتابة الاثبات أو الفهارس التي كان العالم يسجل فيها مروياته في الحديث بالسند والكتب التي قرأها في صحيح بخاري وغيره من الكتب الستة المشهورة، مرفقة بذكر الشيوخ الذين درس عليهم ولاسيما شيوخه في علم الحديث وكانت هذه الاثبات تتداول بين العلماء أو تحفظ عن ظهر قلب أو تكتب مختصرة أو مطولة في شكل إجازات.

من الذين تركوا ثبتا أوائل العهد العثماني "محمد بن شقرون ابن أحمد الوهراني"، أمّا في القرن الحادي عشر اشتهر أحمد المقري برواية ودراية الحديث وله سند الحديث[28] من المغرب والمشرق ضمنه في كتابه "روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس"، وشهد القرن الثاني عشر موجة من العناية بالحديث رواية ودراية على يد "أحمد البوني" و"أحمد بن عمار" و"المنور التلمساني" الذي له ثبت في نحو الكراسين يسمى "منتخب الأساسيين في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد" وهو سلسلة من الإجازات والمرويات التي جمعها عنه تلميذه "إبراهيمي السيالة التونسي". كما خصّ "أبو راس الناصر" شيخه "المرتضى الزبيدي" يثبت سماه "السيف المنتضى فيما رويته عن الشيخ مرتضى".

والإجازة عند المحدثين هي الإذن في الرواية لفظا أو كتابة وكانت في الأصل لا تمنح إلا لمن يدرس الحديث ثم عمم استعمالها فصارت تمنح في كل علم أو فن ثم أطلقت وصارت تمنح في عدة علوم أو فنون التي يتقنها المجيز وقال في شأنها صاحب البستان "إن طلب الإجازة أو الرواية من شان أهل العلم"[29] حيث كان المجيزون يتصفون بالإنصاف فلا يمنحون الإجازة إلا ذوي الكفاءة والأهلية غير أنها أسقطت بتقادم العهد للتساهل في منحها دون التحقق من كفاءة المجاز نتيجة لضعف مستوى التعليم من جهة وخضوع الإجازات لنوع من المجاملات بين العلماء من جهة أخرى. وهناك ثلاثة أصناف من الإجازات، إجازات الجزائريين للجزائريين وإجازة الجزائريين لغيرهم، وإجازة علماء المسلمين لعلماء الجزائريين، ومن الغريب أنّ العلماء الجزائريون لم يجيزوا بعضهم البعض إلاّ قليلا من ذلك إجازة "محمد الزجاي" لأحمد بن محمد الشريف" وأجاز "محمد بن عبد الرحمن الأزهر ي "حمودة المقايسي".

ويعتبر العلماء الجزائريين السباقين في منح الإجازات لغيرهم من العلماء المسلمين ونذكر في هذا الصدد إجازة أحمد بن عمار إلى محمد خليل المرادي الشامي أهم ما جاء فيها "فقد روينا بتوفيق الله ويمنه وعدة وافرة مخذراتها سافرة من كتب العلوم الشرعية والفنون المرعية... وقد أجزت السيد المستجيز المجاز لرجل الحقيقة لا مجاز...السيد محمد خليل... تاريخ أواخر

ذي الحجة... سنة 1205 ....والسلام"[30]. كما تلقى الجزائريون إجازات من علماء مسلمين سواء من المشرق أو من المغرب العربيين فمن المغرب لدينا نموذج من الإجازات العلمية[31] إجازة الشيخ الورزيزي لعبد الرزاق بن حمادوش جاء فيها "يقول الفقير إلى الله سبحانه احمد بن محمد بن عبد الله الوزريزي... عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش...رغب أن يسمع فيما سهل الله سبحانه من الحديث... فأسمعته بعض موطأ مالك...ورغبني أن أجيزه أيضا ....فأجزته أن يروي علي الكتب الستة[32]...وأجزته... ضحى الخميس سابع عشر محرم عام 1156 [33] ...". أما عن المشرق فقد نشر الشيخ مرتضى الإجازة بين المعاصرين له ومنهم الجزائريين وفي هذا يقول أبو القاسم سعد الله "كان لمحمد مرتضى الزبيدي تأثيرا على علماء الجزائر بطريق الإجازة فقد أجازهم فرادى وله إجازة عامة لأهل الراشدية ولأهل قسنطينة تقع في مجلد صغير.

عندما نتحدث عن الإنتاج الفقهي في الجزائر فمن الطبيعي أننا سنركز على الفقه المالكي كونه المذهب المتبع بالجزائر، ولكن منذ مجيء العثمانيون انتشر المذهب الحنفي وظهر علماء كتبوا ودرسوا وألفواعلى قواعد الإمام أبي حنيفة، وحتى إن كان معظم التآليف في فروع وأصول المذهب المالكي، فهذا لا يعني أنه لم يك لعلماء المذهب الحنفي تآليف وآراء، حيث سيطر مختصر الشيخ خليل على مختلف الدراسات الفقهية المالكية بالجزائر، فكثرت حوله الشروح والحواشي والتعاليق وبذلك تعددت التآليف الفقهية، فوضع "عبد الكريم المغيلي" شرحا على مختصر خليل"، ووضع محمد بن عبد الرحمن البيدري حاشية طويلة على شرح الخرشي على خليل سماه "ياقوتة الحواشي على شرح الإمام خراشي"، كما وقع بين أيدينا مخطوط حول فقه العبادات "لعبد الله بن عزوز المراكشي" بعنوان "قهر العقول ونفي الظلمات" فيقول فيه :"...الحمد لله والي الأنعام الذي يليه الشكر على الدوام مبدي الأسرار والفتوحات والأحكام، فقد اختلج في صدري لما تخن في سبيل كشفه من معاني القرب[34]...".

بالإضافة إلى ذلك فقد ترك علماء الجزائر عدة تآليف في الفتاوى والوقف والفرائض وغيرها من القضايا التي تمس جوانب الدين المختلفة، فألف عبد العزيز الثميني في نوازل الأرض وعمارتها في كتابه "التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل" . " ولأحمد البوني" بعض الفتاوى منها "نور الشمعة المذهب لظلام أهل الرياء والسمعة"، "الإلهام والإنتباه في رفع الإبهام والإشتباه" و "فتوى في الحضانة" سنة 1113هـ. ويتصل بعلم الفقه موضوع التركات والأوقاف والفرائض[35] وبخصوص الوقف ألف "أحمد بن عمار" "رسالة في الوقف"، ويتصل علم الفرائض اتصالا وثيقا بالفقه والحساب معا، من أبرز من ألف فيه "عبد الرحمن

الأخضري" الذي وضع نظما "الدرة البيضاء" في خمسمائة بيت في الفرائض والحساب هذا العمل شرحه "عبد اللطيف المسبح" في "عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان". غير أنّ علم الفرائض قد تدهور بمرور الزمن نتيجة ضعف العناية بالحساب والرياضيات عموما.

ويعتبر علم الكلام من العلوم السائدة في الجزائر خلال العصر العثماني، فقد شاع لدى الجزائر يين استعمال تعبير علم الكلام وعلم التوحيد على حدّ السواء، وكانوا يعتبرون هذا العلم من أهم العلوم على الإطلاق حيث عرفه مصطفى الرماصي[36] في القرن الثاني عشر "علم الكلام أوثق العلوم دليلا، وأوضحها سبيلا، واشرفها فوائد وأنجحها مقاصد، إذ به تعرف ذات الحق وصفاته، ويصرف عنه ما لا يليق به ولا تقبله ذاته". وقد اعتنى في هذا العهد بمؤلفات السنوسي المعروفة بالعقائد السنوسية في التوحيد وهي العقيدة الصغرى الشهيرة بأم البراهين والعقيد الوسطى والكبرى، فشاعت في الجزائر تفسيرات تتخذ علم الكلام منطبقا لها، فكثرت الشروح والتفاسير على عقائد السنوسي التي أصبحت تقليدا متوارثا في تدريس الطلبة وتحشية الحواشي، وقد عبر الدكتور "سعد الله" عن ذلك قائلا: "وكأن الفكر الفلسفي والديني قد تجمد عندها ولم يعد قادرا على الخوض في مسائل التوحيد إلاّ من خلال عقائد السنوسي...".

فوضع الشيخ "خليفة بن حسن القماري" شرحا كبيرا على الصغرى قسمه إلى خمسة أقسام وجعل لكلّ قسم أجزاء، وقام "ألورتيلاني" بتحشية عمل السنوسي، كما وضع السكتاني حاشية على صغرى وشرحا على وسطى السنوسي. و"لمحمد بن الترجمان" رسالة في التوحيد سماها "الدر الثمين في تحقيق القول في صفة التكوين"، كما انفرد "أبوراس الناصر" بعدة أعمال في علم الكلام منها "الزهر الأكم في شرح الحكم"، و"رحمة الأمة في اختلاف الأئمة" وقاصى الوهاد في مقدمة الإجتهاد" بالإضافة إلى شروح وحواشي على عقائد السنوسي.[37] وألف يحي الشاوي[38] في التوحيد حاشية على أم البراهين و"التحف الربانية في جواب الأسئلة اللمدانية في العقائد" إلى غيرها من الأعمال الأخرى.

كانت الثقافة الدينية هي الثقافة السائدة بالجزائر خلال العهد العثماني، مما أدّى إلى انتشار ظاهرة التصوف وسيطرتها على توجيه مسار الحياة الإجتماعية والسياسية والروحية وحتى العلمية منها بوجه لم يسبق لهذه البلاد أن عرفت مثيلا له، وذلك بتشجيع من الحكام الذين كانوا يعتقدون في الطرقية. فكثر الإنتاج في هذا الميدان، وتنوعت الكتب والرسائل والمنظومات التي تتناول التصوف من قريب أو بعيد، كالأذكار والأوراد والردود والمناقب والمواعظ والحكم والشروح الخاصة بالقصائد الصوفية، والمدائح النبوية التي تنظر إلى الرسول إلى الله عليه وسلم نظرة صوفية وروحانية.[39]

,

رغم تقادم الزمن، ظلت أعمال ابن صعب النجم الثاقب وأعمال "محمد بن يوسف السنوسي" في "الأنوار المنبلجة في الأسرار المنفرجة" "لأحمد النقاوسي" وأعمال "الحوضي" و"عبد الرحمن الثعالبي" وغيرهم مصدرا مهما للتأليف في التصوف وفروعه حيث عكف على دراستها وتدريسها عدة علماء أمثال "ابن مريم"، و "الفكون"، و"الورتيلاني" و"البطيوي"...، فتعددت التآليف في هذا السياق منها "رسالة في الرقص والتصفيق والذكر في الأسواق" "لأحمد بن يوسف الملياني" ، ورسالة "عقد الجمان في تكملة البستان" التي جمعها الشيخ بن محمد الهاشمي وكلها رسائل في المناقب الصوفية التي تتصل بسيرة الشيخ في حياته الطرقية، غير أنّ "مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق الأهل الفوز والصلاح" للبطيوي يعتبر من أهم كتب المناقب فبعدما ذكر خصال شيخه ابن مريم، خصّ جزءا هاما منه حول الحياة الدينية والإجتماعية بالجزائر خلال العهد العثماني، كما أفرد فصله كاملا من مطلب الفوز ول أشباه العلماء والمتصوفة بعد تفشي الدجل والشعوذة في السنوات اللاحقة من الحكم العثماني.

كما تطالعنا في العصر العثماني بعض الشروح في التصوف مثل العمل الذي قام به "أحمد بن أحمد الحاج البجائي التلمساني" في شرحه على قصيدة "النفحات القدسية" لأبي الحسن على بن باديس" سمّاه أنس الجليس في جلو الحناديس على سينية ابن باديس"، وقام "محمد بن أحمد الشريف الجزائري" بشرح لقصيدة "شمس الدين محمد الديروطي الدمياطي" اللامية في التصوف[40] سمّاه "القول المتواطي في شرح قصيدة الدمياطي"، بالإضافة إلى هذا يمكننا الإشارة إلى أنّ "عبد القادر المشرفي" قد وضع نظما سماه "عقد الجمان الملتقط من قعر قاموس الحقيقة الوسط" وهو نظم على "الدرة الشريقة في الكلام على أصول الطريقة لمحمد بن علي الجزولي".[41]

وشملت التآليف في التصوف المواعظ والأذكار والأدعية والأوراد وغيرها من المواد الصوفية، التي اعتنى الزهاد المتصوفة بها التي تقرب الصوفي[42] من الله عز وجل من أشهر كتاب الأوراد والأدعية أحمد بن يوسف الملياني في أوائل القرن العاشر وأحمد البوني في القرن الثاني عشر، ولم تردنا تفاصيل دقيقة عن كتاب الأوراد خلال القرن الحادي عشر،والف "يحي الشاوي" رسالة ذات طابع فلسفي سمّاها "النبل الرقيق" اتهم فيها "الكوراني" بالكفر وأجاز قتله. فردّ عليه "محمد بن رسول البرزجي" بتأليف "العقاب الهاوي على الثعلب والنشاب الكاوي للأعشى الغاوي والشهاب الشاوي للاحول الشاوي". وفي سياق الردود والإعتراضات كتب "الكوراني" عدة رسائل من بينها السداد في مسألة خلق العباد"، وألف طاهر بن زياد الزواوي تأليفين "نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد" "رسالة القصد إلى الله".

أمّا في المواعظ فقد كثرت التآليف وتنوعت المواضيع، حيث ألف "محمد ساسي البوني" عملا في الوعظ سمّاه النور الوضاح الهادي إلى الفلاح"، و "ابن عزوز المراكشي" ألّف تقييدا في التصوف بعنوان "تنبيه التلميذ[43] المحتاج" وهو في الجمع بين الطريقة والحقيقة، و"لإبن عزوز" عمل آخر سمّاه "إظهار البدع وارهاط المبتدعة"، وقد نادى فيه بنبذ البدع والعودة إلى الكتاب والسنة إذ يقول "إنّ البدع في هذا الزمان لا نهاية لها، وكل بدعة عملت فرقة، وافترقت بهذه الأمة على إثنين وسبعين فرقة كلهم ظالمين مضلين يدعون إلى النار".[44] وعلى ما يبدو فإنّ ابن عزوز كان ساخطا على أشباه الصوفية التي انحرفت عن الشريعة واتبعت البدعة خاصة بالريف[45] الجزائري خلال العهد العثماني .

أما الرسائل الصوفية التي كثرت مع أوائل القرن التاسع عشر (19) على يد العلماء ورجال الطرق الدينية أهمها أرجوزة "محمد بن عزوز البرجي"[46] "رسالة المريد" و"المنظومة الرحمانية" "لعبد الرحمن باش تارزي" و"المراثي المكية في آداب الطريق والأدعية" "لمحمد الزجاي".

- ***العلـوم العقلية***[47]:

إذا عدنا إلى دراسة الإنتاج العلمي خلال العهد العثماني وجدنا منه كمية ضئيلة بالقياس مع ما عرفه القرن التاسع (15م)، فبالنسبة للحساب رغم كونه علم يعتمد على الذكاء والموهبة الفطرية، ويخضع لمبادئ جوهرية وفرضيات قابلة للتغيير عند التوصل إلى نتائج جديدة.[48] إلا أنّنا نجد أن هذا العلم يكاد يختفي من الساحة الفكرية لولا بعض الأعمال "كالدرة البيضاء"[49] "لعبد الرحمن الأخضري"،ويعد"ابن حمادوش" من الذين اهتموا بالحساب إلاّ أنه لم يخصه بتأليف وحسب ما ذكره في رحلته أنه لم يجتهد في هذا الميدان. وفي مقابل هذا عثرنا على أرجوزة في الحساب لصاحبها "علي بن عبد القادر"[50] الجزائري يقول فيها بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بدأت بالحمد مع الصلاة   على النبي وآله التقات

وبعد فالبسوط للكسور   عشرة خذها بلا قصور

وقوعها أربعة مع واحد بيانها يأتي بعون الواحد[51]

وبعد إطلاعنا على بقية الأرجوزة التي وضعها تقريبا في ثلاث عشر ورقة وجدناها كلها في الجبر خاصة بموضوع الكسور، والملاحظ أنه إلتجأ إلى هذه الطريقة للشرح ليسهل على الطلبة حفظها واستعابها نظرا لتفشي ظاهرة النفور من الرياضيات وغيرها من العلوم العقلية. أما بخصوص الهندسة لم نعثر على وثيقة تؤكد اشتغال الجزائريين بهذا العلم خلال هذه الفترة، إلاّ ما ورد في رحلة "ابن حمادوش" عندما أشار أن له تأليف في المساحة والهندسة بعنوان "فتح المجيب في علم التكعيب" والذي هو حسب إعتقادنا مجرد إضافات لبعض تآليف النصارى ونستشف ذلك من خلال قوله "فأعملت فكري حتى أخرجها ثم بدالي أن أؤلف فيها[52]...".

يعتبر علم الفلك[53] من العلوم العقلية التي خصها العلماء بالدراسة والتأليف خلال العهد العثماني، ويظهر هذا الإهتمام في الإقبال على حفظ ودراسة تراث القرن التاسع بأرجوزة النجم المبتز "لعلي بن أبي الرجال القيرواني" (ت 432هـ) و "منظومة بغية الطلاب في علم الأسطرلاب[54] " " للحباك" حيث بقيت قواعد هذه التآليف الفلكية تتدارس في حلقات العلم، وبتقادم الزمن ظهرت عدة وجوه اهتمت بهذا العلم أمثال "عبد الرحمن الأخضري" الذي وضع نظما سمّاه "السراج في علم الفلك" 939هـ إذ يقول فيه "...أن ندع إختيار أمر بحركات الفلك ولا نسأل الله عن فعله فمن خاض لجة بحر هلك هذا بما يتعلق بحركة أجرام المشتري وزحل[55]..." وجاء في"السراج" حديث عن أمور عديدة خاصة بالفصول ، وتعاقب الليل والنهار وبعض القواعد الفلكية غير أنّه اختلطت فيه بعض المتعلقات بالشعوذة والتي نعتقد أنها مجرد إسقاطات لبعض النساخ، ورغم ذلك يظل "السراج" من أهم الأعمال في علم الفلك نظرا لتوالي الشروح عليه مثل "مفيد المحتاج في شرح السراج" لسحنون بن عثمان الراشدي (الونشريسي) "جواهر المحتاج في الشرح السراج" لمجهول، وألف ابن علي الشريف "معالم الإستبصار بتفصيل الزمان ومنافع البوادي والأمصار" وهو كتاب في الفلك والتنجيم ألفه سنة 1192هـــ. بالإضافة إلى عدة مؤلفات في الفلك من بينها "أثمد البصائر في معرفة حكمة المظاهر" "لعبد الله بن عزوز المراكشي"، "تأليف في الرخامة الظلية[56] لعبد الرزاق بن حمادوش" و "القلادة الجوهرية في العمل بالصفيحة العجمية" الذي وضعه أحمد الصخري سنة 1043هـ.

يعتبر الطب[57] من العلوم الجامعة غير أنّه لم يلق العناية اللائقة به خلال العهد العثماني ربما لإنصراف بعض العلماء عنه لدراسة العلوم النقلية، أو لسيطرة فكرة القضاء والقدر في هذا الميدان على عقول الناس بصفة عامة، واتجاه البعض الآخر إلى الإلتجاء والتداوي بالأعشاب الطبيعية للمحافظة على الصحة. هذا ما دفع بالرحالة الأوروبيين إلى الجزم في الكثير من المرات أنه لم يكن بالجزائر أطباء ولا مهتمين بالطب خلال العهد العثماني وهذا من خلال ما عبر عنه وليام شالير "...أنّ علم الطب لا يوجد من يدعيه، وهذا إذا ما استثنينا المشعوذين وكتاب الحروز[58]".

ولعلّ هذا الحكم كان بعد ملاحظته لطريقة التداوي في المجتمع، لأنّ معظم الأدوية الشائعة كانت تتناول الجانب السطحي من جسم الإنسان، بالإضافة إلى الإعتماد على الطريقة التقليدية في التداوي فمثلا كانوا يتغلبون على الحمى بنبات الشندقورة والتورم بالحناء[59] والجدري بالتين والعسل، كما استعملوا وسائل الكي والحجامة ونحو ذلك.

والجدير بالذكر أنّ مستوى الطب تراجع نسبيا في إيالة الجزائر ولعلّ هذا يمكن أن نرجعه إلى عدّة إعتبارات:

1. سيطرة العلوم النقلية وهيمنة روح التصرف على المجتمع الجزائري عصرئذ.
2. إعتقاد العلماء أنّ العلم يقتصر على الجانب النظري فراحوا يحفظون المتون ويشرحون ويؤلفون حواشي في أعمال علماء آخرين، أمّا الجانب التطبيقي منه (الطب، الصيدلة، الكيمياء،...) فإنّ معظمهم كان يؤمن أنّ الطب مقصور على الأوروبيين.
3. الطبيعة العسكرية للمجتمع الجزائري خلال الحم العثماني، فالحكام لم يهتموا بالتعليم فكيف يهتمون بالعلوم؟ أمّا بخصوص صحتهم فكثيرا ما كانوا يلجئون إلى إستخدام أطباء أوروبيين فمثلا حسين بوكمية باي قسنطينة اتخذ لنفسه طبيبا هولنديا يدعى سانسون.[60]

ولكن في مقابل هذا نحن لا ننفي المبادرات الطيبة من قبل بعض العلماء بهذا العلم، فنجد عبد الرزاق بن حمادوش من الذين درسوا وألفوا في الطب من خلال كتابه "المجوهر المكنون من بحر القانون" ويظهر اهتمامه من خلال تعبيره عن هذا العلم بقوله"الحمد لله الفاعل المختار النافع الضار الجاعل لكل داء دواء شافيا، الجامع الطب جمعا كافيا[61]" والكتاب مرتب على أربعة كتب: السموم والعلاج منها، والثاني في الترياقات والمعاجين والكتاب الثالث في الأمراض، أما الرابع فهو خاص

بالأعشاب والأدوية وعلى ما يبدو أن ابن حمادوش كانت له يد في الطب والصيدلة "....الدواء المقوي هو الدواء الذي من شانه أن يعدل قوام العضو، وهو ما يراه جالينوس في دهن الورد، وهو الدواء الذي من شانه أن يحدث في العضو حرارة ويجمد السائل إليه أو يخثر ويمنعه عن السيلان مثل عنب الثعلب في الأورام"[62].

ويعتبر ابن عزوز المراكشي من الذين أتقنوا الطب وألفوا فيه من خلال كتابه ذهاب الكسوف ونفي الظلمات في علم الطب والطبايع إذ استفتحه "...فقد اختلج في صدري لما نحن بسبل كشفه عن معاني الطب والطبايع والحكمة.... وعمل مما لابد الذكر لطالب هذا العلم الشريف والله يعصمنا من الأباطيل"[63]. وبعد اطلاعنا على المخطوط وجدنا انه خصص الباب الأول للطب التجريبي والباب الثاني للطب النفسي الروحاني ونستشف ذلك في قوله"....واعلم أيها الناظر أن لون الشعر دليل قاطع على معرفة المزاج والطبع وذلك لاشك فيه إذ من كان شعره ابيض كان مزاجه رطبا"[64]. وهناك أيضا من اعتنى بالطب مثل محمد بن احمد الشريف بتأليف رسالة في الطب سماها المن والسلوى في تحقيق معنى حديث لا عدوى. أما الكيمياء فرغم كونها من العلوم العقلية التجريبية نظرا لارتباطها بالطب والصيدلة، لذلك أولاها المسلمون عناية خاصة عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية[65]، ولكن بحلول العهد العثماني لم يعد هذا العلم يتمتع بخاصيته الأولى بين العلوم، حيث أصبح علم الكيمياء عملا يهرب منه العلماء ولعل هذا يرجع إلى عدة أسباب:

- انصراف الطلبة والعلماء إلى دراسة علوم الأدب والتصوف.
- عدم وجود أساتذة أخصاء في هذا المجال، وحتى من اشتغل به فهو مجرد هواية وليست حرص على إتقان علم الكيمياء.

وهذا ما عبر عنه شاو بنبرة من السخرية " ...إن علم الكيمياء لم يعد في الجزائر سوى صناعة ماء الورد[66]، بعد أن كان محببا عند العلماء المسلمين الأوائل...." وأثناء عملية بحثنا لم نعثر على وثيقة واحدة تدل على وجود هذا العلم في العهد العثماني، إلا إذا كانت قد ضاعت في فوضى الاحتلال الفرنسي. إذ حكمنا على إنتاج الجزائريين في علم المنطق نجد انه لم تكن هناك مساهمة فعالة في هذا المجال، حيث لا يظهر إلا إنتاج ضئيل لبعض العلماء أمثال محمد بن يوسف، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي، ولعل هذا يعود إلى أمرين:

- صعوبة علم المنطق الذي يحتاج إلى الاطلاع الواسع على كتابات الأوليين.

- طغيان علم التصوف واعتبار المنطق من بين علوم الظلم التي تؤدي إلى الكفر والإلحاد والزندقة.

وبذلك ظلت قيمة علم المنطق مجهولة مقارنة بالعلوم الأخرى رغم ما ادعاه بعض العلماء من تفوق في هذا العلم، ومن بين من درس المنطق واشتغل به "سعيد قدورة"،"ابن حماد وش" لكن قيمته بقيت معدومة إلى جانب العلوم الأخرى، فقد ذكر "الفكون" "إن بعض العلماء[67] قد تغلب عليهم المنطق لكن هذا يخالف طبيعتهم العلمية كالشيخ "علي الغربي" في القرن 16م ،بيد انه من ابرز علماء المنطق نجد " عبد الرحمن الأخضري" الذي وضع رجزا في المنطق بلغ مائة وثلاثة وأربعين بيتا بعنوان " السلم المرونق في علم المنطق" وقد عرفه في أرجوزته.

وبعث المنطق للجنـــــان نسبة كالنحـــو للســان

فيعصم الأفكار من غير الخطأ[68] وعن دقيق الفهم يكشف الخطأ

ليصبح هذا الرجز عمدة الطالب والأستاذ في الدرس والتوجيه شمل المغرب والمشرق والسودان والهند حوالي أربعة قرون، وبذلك توالت الشروح والحواشي عليه كما اعتنى به "عبد الرزاق ابن حمادوش" من خلال اهتمامه بشرح تراث القرن 9هـ حيث وضع شرحا على "كتاب ايساغوجي في المنطق، وحاشية على مختصر السنوسي سنة 1097هـ، وساهم "أبو راس الناصر" في هذا العلم عندما وضع شرحا على سلم الأخضري" سماه "القول المسلم في شرح المسلم" و"الثمني" وضع شرحا على "مرج البحرين" "لأبي يعقوب ابن إبراهيم الورجلاني" سماه " تعاظم الموجين في شرح مرج البحرين" وكانت مساهمة أبي راس الناصر والتمني هامة جدا باعتبار أنها لم يكونا من المتصوفة[69]. من خلال ما سبق نجد انه رغم المساهمات التي أبدها العلماء الجزائريين في علم المنطق، إلا أنها بقيت رهن الشرح ودراسة أعمال علماء آخرين باستثناء مساهمة الأخضري .

أما علم التاريخ كانت العناية به ضعيفة نظرا لسيطرة التصوف والروح الدينية السلبية على هذا العلم، ولم يعرف تطورا إلا خلال القرن الثاني عشر، حيث انكب العلماء على الإلمام بتراث الأولين والتأليف فيه، حيث عرفه ابوراس"بان التاريخ تحفة المجالس، المغني عن الأنيس والمجالس"، ويبين أهميته قائلا " لقد اعتنى به الأدباء الأفاضل وجها بذة كل طبقة وملة[70] ". غير أن العمل في هذا العلم اقتصر على التواريخ المحلية والتراجم والرحلات، ولم يكتب واحدا منهم تاريخا عاما للجزائر وهذا راجع لعدة أسباب:

- المؤرخ كان يعيش ضمن جغرافية معينة ويخضع لسياسية ضاغطة.

- هيمنة الثقافة الجافة على علم التاريخ (النظرة القديمة للتاريخ من كونه تاريخ أمراء وملوك).
- معظم التأليف التاريخية كانت في شكل تصميمات أدبية (قصائد – أرجيز)، وبذلك يصبح التاريخ تفسير ما عجز عنه أو ضاق به الأدب ويكفي أن نشير إلى رجز "محمد الحلفاوي" في فتح وهران الأول.

ورغم هذا فقد تعددت التآليف في التاريخ بمختلف وجوهه في السيرة النبوية، نظم الجزائريون الأشعار والأراجيز، ومن الممكن أن تعد كل ما قيل من شعر في المدائح النبوية جزءا من تاريخ "الرسول صلى الله عيه وسلم"، وألف "أحمد المقري" تآليف كثيرة في السيرة النبوية ومن أهم أعماله في ذلك "فتح المتعال في نعال الرسول صلى الله عليه وسلم"، أما "احمد بن قاسم البوني" كانت تأليفه في السيرة النبوية نظما وبعضها نثرا، ومن ذلك نظم "الخصائص النبوية" ومن نثره" تنوير السيرة بذكر أعظم سيرة" أما في التاريخ العام والمحلي، نجد كتاب "احمد المقري" "نفح الطيب" و" أزهار الرياض" الذي يتناول جوانبا هامة من تاريخ الأندلس، وفي التاريخ المحلي هناك عدة تأليف من بينها " بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبان بوهران من الأعراب "كبني عامر لعبد القادر المشرفي"، الذي تعرض فيه بالتفصيل لقبائل بني عامر مع بيان الحكم الشرعي في تعاونهم مع الأسبان ، اهتم BODIN ببهجة الناظر فنشر نصها بالعربي مع ترجمة بالفرنسية في المجلة الإفريقية لعام 1924 (ص، ص 193–260) مع عرض لأهم الأحداث التي عرفتها وهران تحت سيطرة الإسبان[71] ،ومن الذين اهتموا بالتراجم والتاريخ " ابن المفتي" في كتابه " التقييدات" الذي بعد مؤلف ضخما ترجم فيه لاحوا ل عصره وقسمه إلى ثلاثة أقسام : المقدمة قسم العلماء والمجتمع – قسم البشوات والحياة السياسية (ترجم لحوالي 54 باشا) وهو عمل كبير مقارنة مع أعمال ذلك العصر في التاريخ حسب راي " ديفولكس" الذي ذكر " أن ابن المفتي عمله مخلص وجاد وانه جمع معلومات هامة عن العصر وأهله لا تتوفر في غير كتابه، وأنها معلومات لا يمكن أن تكون مختلفة ".

أما الرحلات[72] فقد أسهم الجزائريون مساهمة واضحة في كتابة الرحلات ولاسيما خلال القرن الثامن عشر (18 م) وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج وبعضها نتيجة لطلب العلم، غير أن التأليف تباينت في تناولها بين شعر ونظم فمن الرحلات الشعرية نجد قصيدة لمحمد بن منصور العامري التلمساني الذي فرغ منها سنة 1162 هـ وهي قصيدة همزية متوسطة الجودة، ومن النماذج الرحلات المكتوبة بالشعر الملحون لدينا قصيدة محمد بن مسايب التلمساني التي وصف فيها رحلته من تلمسان إلى مكة المكرمة قد ضمت شوقه وتوبته وتدينه وتبدأ رحلته بـ:

يا الورشان أقصد طيبة وسلم على الساكن فيها

وعلى كل فإن الرحلات الشعرية بنوعيها صيغت بأسلوب بسيط ممتع لان الهدف منها ليس خدمة الأدب أو تخليد الآثار فيه وإنما التعبير عن الشوق لزيارة قبر "المصطفى صلى الله عليه وسلم". أما النثرية منها فهي التي يسجل فيها أصحابها انطباعاتهم عما شاهدوه وسمعوه ليس فقط في الحجاز، ولكن في مختلف المدن والأقطار التي مروا بها ولم ترد بين أيدينا الوثائق التي تبرهن أن أحدا من الجزائريين قد سجل انطباعاته في كل هذه الأماكن غير أن اقرب الرحلات في ذلك هي رحلة " الورتيلاني" ورحلة "أبي راس الناصر"

وتجدر الإشارة أن معظم الرحلات من إنتاج القرن الثامن عشر[73] (18م) أي أننا لا نعلم إن احد العلماء قد سجل رحلة حجازية نثرية خلال القرن العاشر أو الحادي عشر مثل "عبد الكريم الفكون" الذي ظل طول حياته يقود ركب الحج من قسنطينة إلى الحرمين الشريفين فانه لم يصلنا انه كتب في فن الرحلة رغم تقاييده الكثيرة.

وأول الرحلات الحجازية النثرية رحلة "أحمد بن قاسم البوني" المسماة" الروضة الشهية في الرحلة الحجازية"، و رحلة "ابن عمار" " نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب" 1166هـ ففيها أخبار كثيرة في انطباعات متنوعة بحكم انه جاور بالحرمين الشريفين اثني عشرة سنة أقام بتونس ، وألف "أبو راس" على شاكله معلمه في هذا الفن كتابه " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"، خص فصلا منها سماه "في رحلتي للمشرق والمغرب وغيرها، ولقاء العلماء الاعلام وما جرى لي معهم من المراجعة[74] والكلام".

نستشف من خلال ما سبق أن حركة العلوم في المجتمع كانت تسير وفق دواليب الأوضاع السياسية والاجتماعية وحتى الأخلاقية، فالعلوم اللسانية تحكمت فيها علاقات الايالة الخارجية، لدلك تأرجحت بين الفصيح والملحون مع بروز لغات هجينة أثرت على الأدب في السنوات اللاحقة وحتى التأليف فيها لم يخرج عن إطار التقليد، لولا جهود بعض العلماء في مجال النحو والصرف التي سرعان ما ذابت في روتين الحياة الصوفية، أما العلوم النقلية فتميزت بكثرة النقول والشروح من جهة والتأليف الجدية من جهة أخرى كالنوازل والفتاوى أبرزها فتوى البوني في الحضانة، كما أدى التأليف في التصوف بالعلوم النقلية إلى الانحطاط عندما تبادل العلماء السب والشتم والاتهامات في الردود والمواعظ وهذا دليل كاف على أن الحياة الروحية في الجزائر خلال العهد العثمانية كانت تسيطر عليها الأفكار المهتزة وقيم أخلاقية جوفاء نظرا للأحوال الاجتماعية المتردية والتي تركت بصماتها حتى في نفوس العلماء والمعلمين ولعل الهجرة اصدق مثال على ذلك إذ كيف تتحول الأوضاع السياسية المتوترة و الاجتماعية المتردية إلى عوامل طاردة للأفراد بمختلف شرائحهم ومستوياتهم، وبالتالي كان لابد للعلوم العقلية أن تتأثر على

غرار العلوم الأخرى حيث تميزت بالركود والشروح طوال القرنين العاشر والحادي عشر ميلاديين مع بعض المبادرات الفردية التي لم ترق إلى المستوى المطلوب ثم انتعشت بصورة نسبية في بعض العلوم كالصيدلة والفلك لكنها لم تصل إلى درجة الإبداع .

وبذلك لا نوافق ادعاءات بعض الرحالة الرامية أن الجزائريين لم يهتموا بأي علم من العلوم خلال العهد العثماني ماعدا دراسة القرآن لعدة اعتبارات ولعل أبرزها: اكتمال معالم الدولة الجزائرية بجميع مقومتها خلال العهد العثماني . أن تقارير الرحالة نسبية نظرا لانحصار ملاحظاتهم في محيط جغرافي معين، فهم لم يتنقلوا بين ربوع الجزائر شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ، بل نجد بعض التقارير تقوقعت حول مدينة الجزائر كمقر للحكومة وعاصمة للإيالة، وليس الجزائر بجغرافيتها العامة، لذلك نقول أن دراسة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني بصفة عامة والحياة الثقافية خاصة لا تزال تحتاج إلى الكثير من البحث والتمحيص ، محاولين أن نضيف جهودنا المتواضعة إلى جهود المؤرخين المتفانية من اجل كشف السراب عن المبهم من تاريخها خلال هذه الفترة.

الهوامش :

1-لحسن جاكر، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931-1956، وهران دار الغرب للنشر والتوزيع ص 36.

2 -قاسم بن عبد الله بن علي المرادي، مخطوط شرح في النحو مخطوط عثرنا عليه بخزانة المرحوم البشير محمودي، بزاوية البرج معسكر ،اطلعنا عليه بتاريخ 24 أفريل 2008، وعلى ما يبدو فإنه لم يقسم كتابه إلى فصول وإنما خصّه بتعريفات مثلا باب المعرب والمبني ثم يورد تنبيهات وهكذا مع جميع الأبواب.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20) الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزء 2، ص 163.

4- العقيقة هي قصيدة شعرية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كتبها المنداسي في أحضان المغرب الأقصى سنة 1088هـ-1678م، عند رجوعه من البقاع المقدسة حسب الرواية الشعبية أنشدها في سوق الحناء، حلف أحد الاشياخ أن يحمله على ظهره إلى مسيد سيدي فرج، وبذلك أخذت مدرسة الملحون المغربية على المنداسي ما ساعد بها على القفز من الركود إلى الازدهار فظهرت القريحة المغربية وهي فن من الغناء الملحون طوّره الشاعر المصمودي.

5 -كانت الخطابة في العصر الجاهلي إحدى الفنون الأدبية التي انتشرت بصورة كبيرة لأنها تلائم ذلك العصر، حيث كانت القبائل العربية تعيش حياة مضطربة في كثير من الأحيان وكان الخطيب لسانها مثل الشاعر يعبّر عن مواقفها في السلم والحرب، ومع أنّنا لا نجد كثيرا من الخطب التي قيلت في ذلك الوقت لعدم التدوين حينذاك فإنّ ما بقي من بعض الخطب يدل على

القدرة في الارتجال امتاز بها العرب ويؤكد ما عرف به الخطباء من فصاحة وبلاغه ثم تطورت الخطابة بعد ظهور الإسلام وتغيرت في أسلوبها ومحتواها نظرا للعقيدة الجديدة وطريقة نشرها وتعدد أساليبها وتنوع أفكارها، ولكن حين جاء العهد الأموي رجعت الخطابة إلى ما يشبه عصر الجاهلية من حيث الاعتزاز بالقبيلة والدفاع عنها، ووجد الخطباء مجالا خصبا في هذا الصراع السياسي والديني بين الفرق الإسلامية لذلك اتسعت الموضوعات وتعددت الأساليب، وبرز خطباء أمثال الحجاج بن يوسف الثقفي، ولما جاء عهد العباسيين استمر الصراع وتنوعت الثقافة العربية لتستوعب ثقافات أخرى أصبحت الخطابة فنا منظما أكثر منه مرتجلا، وحين تدهور الأدب العربي في العصور اللاحقة حتى عصر الأتراك باتت الخطابة تقليدا أكثر منه فنا، للمزيد من الاطلاع أنظر: عبد الله ركيبي، الخطابة في النثر الجزائري الحديث، ص 48.

[6] – عبد الله الركيبي، الخطابة في النثر الجزائري الحديث، مجلة الأصالة، السنة 4، العدد 25، جمادى الأولى والثانية 1395– ماي، جوان 1975، قسنطينة: مطبعة البحث، ص 49.

[7]– هو أبو عثمان سيدي سعيد ابن أحمد المقري، نسبة إلى مقرة قرية من قرى بلاد الزاب، ولد سنة 930هـ تولى الخطابة وإمامة تلمسان حوالي ستون سنة، توفي سنة 1010هـ، أنظر الحفناوي تعريف الخلف برجال السلف، الجزء 1، ص 227.

[8]– مؤلف مجهول، خطبة عيد الصغير، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة تحت رقم 3269، الورقة 1.

[9]–روى السيد لوجي دي تاسي في كتابه الدولة البربرية، قصة غرام بين عروج بربروس وزافرة زوج سليم تومي، وقال أنه وجدها مكتوبة على الرق وأخذ منها لكتابه، وقد عثر عليها بخزانة المرابط حران الذي قال عنه أنه ربما يكون من نسل سليم تومي، نقلا عن أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء 2، ص 215.

[10]– أبو القاسم سعد الله، أشعار ومقامات ابن حمادوش الجزائري، مجلة الثقافة، العدد 79، السنة 1979، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 24.

[11]– فرج محمور فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، دراسة لأوضاع الإقليم السياسية والاجتماعية والثقافية مع تحليل كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط لمحمد بن بابا حيدة، طبعة 1977، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص 86.

[12]–صالح فركوس، الداي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية، مجلة الثقافة، العدد 71، ذو القعدة، ذو الحجة 1402هـ، سبتمبر أكتوبر 1982، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 19.

[13]–ذهيبة بوشيبة، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، أبي راس الناصر نموذجا، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تحت إشراف الدكتور هلايلي حنيفي، السنة الجامعية 2008–2009، ص 139.

[14]–أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء 2، ص 277.

[15]- حسن نصار، الشعر الشعبي العربي، الطبعة الثانية، 1980 بيروت منشورات إقرأ، ص 11.

[16]- المجلة الإفريقية، عدد 60، سنة 1919، ترجمها إلى الفرنسية وعلق عليها August cour قسنطينة سنة 1802 حسب قصيدة شعبية للشيخ بلقاسم الرحموني الحداد، ص 225.

[17]- أبوراس محمد الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل أبي نعمته، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1990، ص 41.

[18]- عبد الرزاق بن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983، ص 211.

[19]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء2، ص 18.

[20]- محمد أبو راس الناصر، المصدر نفسه، ص 179.

[21]- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 20.

[22]- ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر: ص 266.

[23]- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ص 64.

[24]- هو أبو عبد الله بن محمد الشريشي المعروف بالخراز، من مؤلفاته مورد الضمآن في رسم أحرف القرآن باب في تسمية الشيء باسم صانعه، شرح على الحضرمية، شرح على البردية، وعمدة الدين في القراءات، توفي سنة 718هـ-1318م، أنظر فتح الإله، إحالة المحقق، ص 183.

[25]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء 2، ص 26.

[26]- عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات، الجزء 2، ص 14.

[27]- السند هو تسلسل الرواية من المحدث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد توسع فيه العلماء وجعلوه لكلّ علم بل ولكلّ كتاب سند يصلهم بواضع العلم أو مؤلف الكتاب، علي زوين، معجم مصطلحات.

[28]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء2، ص 35.

[29]- ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص 405.

[30]- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 67.

[31]- جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987، ص 186.

[32]- الكتب الستة، البخاري ومسلم، وأبا داوود والترمذي وابن ماجه وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل.

[33]- عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، الجزء 2، ص 528، وذكر أنه يملك نص إجازته لأهل قسنطينة.

[34]-عبد الله بن عزوز المراكشي، قهر العقول ونفي الظلمات، مخطوط عثرنا عليه بخزانة المرحوم البشير محمودي، زاوية البرج ولاية معسكر، واطلعنا عليه يوم 04-04-2008، الورقة الأولى.

[35]-علم الفرائض هو معرفة فروض الوراثة، وتصحيح سهام الفريضة مما تصح بإعتبار فروضها الأصول أو مناسختها، وذلك إذا هلك أحد الورثة وإذ كسرت سهامه على فروض ورثته، فإنه حينئذ يحتاج إلى حساب يصحح الفريضة الأولى، حتى يصل أهل الفروض جميعا في الفريضتين إلى فروضهم من غير تجزئة، وقد تكون هذه المناسخات أكثر من واحد أو اثنين وتعدد لذلك بعدد أو أكثر، وتحتاج إلى حسبان، أنظر عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 353.

[36]- هو مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي، ولد بقرية رماصة بموطن الراشدية (معسكر) عالم فقهاء المالكية، أخذ علوم الدين واللغة على يد علماء مازونة، توفي سنة 1724هـ، أنظر عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ص 152.

[37]- اطلعنا على شرح أبو راس الناصر على عقيدة أم البراهين بعنوان حاشية على صغرى السنوسي بخزانة المرحوم البشير محمودي، بتاريخ 08-04-2008، وهو مخطوط واضح وغير تلف مكتوب بخط مغربي.

[38]- يحي بن محمد بن محمد الشاوي النائلي، ولد بمدينة الجزائر سنة 1041هـ-1631م أخذ العلم عن والده وعن مشايخ عصره مثل سعيد قدورة، عبد الكريم الفكون، وقد زار الشاوي قسنطينة وبجاية وعنابة ثم سافر إلى المشرق أي تظلع في علوم الظاهر والباطن، توفي يوم الثلاثاء 10 ربيع الأول 1096هـ-9فبراير 1685م، بمكان يقال له رأس أبي محمد. راجع عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء 3، ص 177.

[39]- Henry garrot, histoire général de l'Algérie, paris : imprimerie perscenzavoute bastion word 1910, page 621.

[40]-توجد نسخة منه اطلعنا عليها بالمكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة، تحت رقم 2152.

[41]- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، الجزء 2، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1991، 338..

[42]- Hoari toati ,entre dieux et les hommes au maghreb, Letrres, Saint et sorcies, 17ème siècle, Paris : edition des écoles des hautes études en science social, page 55.

[43]- مخطوط عثرنا عليه بخزانة المرحوم البشير المحمودي، بزاوية البرج، ولاية معسكر ومخطوط مجموع بالمكتبة الوطنية بالحامة تحت رقم 2146.

[44]- عبد الله ابن عزوز المراكشي، إظهار البدع وأرهاط المبتدعة، مخطوط مجموع بالمكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة، تحت رقم 2146، الورقة2.

[45]- Mouloud Gaid, l’Algérie sous les turcs, Alger : société national d’édition et de diffusion, page 105.

[46]-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء 2، ص 157.

[47]-هي طبيعة الإنسان من حيث أنه ذو فكر، فهي غير مختصة بملة، بل يوجه النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليفة وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة، وهي مشتملة على أربع علوم: الأول علم المنطق، والثاني هو العلم الطبيعي وهو النظر إلى ما وراء الطبيعة في الروحانيات وهو العلم الثالث والعلم الرابع هو النظر في المقادير، ويشمل أربع علوم وهي الهندسة والموسيقى وعلم الهيئة (الفلك)، وقد قسم ابن خلدون العلوم إلى قسمين علوم نقلية وعلوم عقلية أما العقلية منها ففيها مجال الإبتكار والإختراع والتجديد والإضافة مثل التاريخ والجغرافيا والطب والكيمياء والرياضيات، للمزيد من الإطلاع أنظر : خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ترجمة محمد الأرناؤرط، ص 263.

[48]- (F) Hoefer, histoire des mathématiques, paris, édition typographie lahure, page 1.

[49]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء 2، ص 416.

[50]- علي بن عبد القادر، أرجوزة النظم الغريب في بسوط الكسور، مخطوط مجموع بالمكتبة الوطنية بالحامة تحت رقم 2066، الورقة 01.

[51]- النظم الغريب في بسوط الكسور، الورقة 02.

[52]- عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 265.

[53]- وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، ويستدل بكيفية تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية، أنظر عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص 386.

[54]- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء 3، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ص 189.

[55]- عبد الرحمن الأخضري، السراج في علم الفلك، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، تحت رقم 2885، الورقة 1.

[56]- عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 107.

[57]- إنّ الطب صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول طلبها على حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يبين المرض الذي يخص كلّ عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكلّ مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها، وعلى العلامات المؤدية لنضجه وقبوله الدواء..." أنظر عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة، ص 100.

[58]- وليام شالير، مذكرات وليام شالير، قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب وتقديم إسماعيل العربي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص 81.

[59]- Tomas Shaw, voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais par E.Mac Carthy, Alger, édition Grand Alger livres, 2107, Page 357.

[60]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء2، ص 431.

[61]- عبد الرزاق ابن حمادوش، كشف الرموز في بيان الأعشاب، مخطوط عثرنا عليه بخزانة المرحوم البشير محمودي بزاوية البرج، معسكر، الورقة1.

[62]- عبد الرزاق ابن حمادوش، كشف الرموز في بيان الأعشاب ، الورقة .05

[63]- عبد الله بن عزوز المراكشي، ذهاب الكسوف ونفي الظلمات في علم الطب، مخطوط خاص ،الورقة .4

[64]- عبد اله بن عزوز المراكشي، ذهاب الكسوف ونفي الظلمات في علم الطب، الورقة .05

[65]- Abdelkader Gaid, histoire de la chemie, Alger : office des publication universitaires, page 30.

[66]- Tomas shaw, Op-cit, Page 356.

[67]- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية،تقديم وتحقيق ابو القاسم سعد الله ، لبنان :دار الغرب الاسلامي ،ص 29.

[68]- عبد الرحمن الأخضري، السلم المرونق في علم النطق، مخطوط *عثرنا* عليه بخزانة المرحوم البشير محمودي،06-06-2008 الورقة 05، كما اطلعنا على نفس المخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة، تحت رقم 2660.

[69]- محمد بوشنافي، الداي علي خوجة وإصلاحاته(1817-1818) مجلة عصور، العدد1 ،جوان 2003 وهران.: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ص.58

[70]- محمد ابوراس الناصر ، الحلل السندسية في شان وهران والجزيرة الأندلسية ، مخطوط خاص ، الورقة 14.

[71]- ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، بيروت: دار الغرب الإسلامي ص 413، ص415.

[72]- الرحلة في اللغة: الترحيل والإرتحال بمعنى الأشخاص والإزعاج ويقال رحل الرجل إذ سار، فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض، وجاءت الرحلة بمعنى الارتحال أي الانتقال، والرحلة أيضا بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان، الرحلة الوجهة، أو المقصد الذي يراد السفر إليه، وبمعنى دنو المكان المراد الوصول إليه أو اقتراب وقت الرحيل، ولهذه المعاني كلها لفظ الرحلة يطلق على من انتقل من مكان لآخر، ومنه أخذ لفظ الرحال، وهو الشخص المتنقل من مكان إلى آخر والشخص الذي قام بالرحلة، قد ترك موطنه وانتقل إلى مكان آخر وسافر من موطنه وقصد جهة أخرى غير موطنه وسار إليها لذا كان لفظ الرحلة أعم وأسّس ما يطلق على المسافر من مكان لآخر.

ورحلات المسلمين منذ بدايتها كانت كاملة متوفرة بها جميع الأسباب والوسائل فمنهم من رحل لأخذ العلم ومنهم من رحل للحج إلى غير ذلك من الرحلات المتعددة، وهذا النوع من الرحلات شاع في المغرب، ولم تلبث الرحلات أن تأصلت في المغاربة، وأصبحت فنا قائما بذاته من حيث =تدوينه بأسلوب مميز في سفر يشمل تاريخ الخروج والوصول في كلّ مدينة مع إعطاء لمحة وافية عنها، انظر عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجري، دراسة تحليلية، مقارنة، ص 41، ص 71.

[73]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، الجزء2، ص 404.

[74]- محمد أبو راس الناصر، المصدر نفسه، ص 91.